

بعلبك.. رسالة الشمس والموسيقى من باخوس إلى الكون

أسدلت مدينة بعلبك في لبنان، الأسبوع الفائت، الستارة على آخر عروضها الفنية لهذا العام ضمن مهرجانات بعلبك الدولية التي تُقام سنويًا داخل هياكل المدينة الأثرية، وتحديدًا عند معبد باخوس، وكان العرض الأخير لعازف البيانو اللبناني- الفرنسي سيمون غريشي ترافقه الراقصة الإيرانية رنا غرغاني بعد فعاليات متنوعة انطلقت في الثامن من هذا الشهر رغم الأوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة التي مر ولا يزال يمر فيها لبنان والتي بالترافق مع انتشار وباء كورونا أدّت إلى توقف فعاليات هذا الحدث السنوي منذ العام 2019. على أن تلك الظروف لم تمنع المشرفين من استضافة الأوركسترا الفيلهارمونية اللبنانية عام 2020 في معبد باخوس من دون جمهور حيث أضيئت أعمدة قلعة بعلبك مع حفل واحد بعنوان "صوت الصمود"، وفي العام 2021 أقيم حفل بعنوان "شمس لبنان لا تغيب" لمجموعة من المواهب الموسيقية الشابة، وتمّ بثّ الحفليتين عبر شاشات التلفزة؛ علمًا أن تاريخ المهرجان يعود للعام 1955 وشهد على أعمال موسيقية ضخمة على الصعيد العربي والعالمي ولم يتوقف إلا مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية عام 1975 حتى العام 1997، لأن بعلبك هي المدينة التي تؤثّر للفرح والموسيقى والجمال رغم كل مآسي هذا اللبنا الصغير.

أول مدينة في العالم؟

تقع مدينة بعلبك في شمال شرقي لبنان على بُعد 85 كيلومترًا من بيروت، وعلى بُعد 56 كيلومترًا من دمشق. يحكي المؤرخون أن النقوش المحفورة على جدران المعابد القديمة بالمدينة تُظهر أنها كانت مأهولة قبل أكثر من عشرة آلاف عام، وأن الفينيقيين بنوا أول هيكل في المدينة لإله الشمس الموجود خلف أعمدة "معبد جوبيتير" في المنطقة الأثرية. كما تم العثور على مغارة للطحين تعود لآلاف السنين. وثمة حكايا وقصص كثيرة عن مدينة بعلبك؛ إحدى الحكايا تقول إن قابيل هو من أنشأ مدينة بعلبك، وأنها أول مدينة في العالم وأسمائها "أخنوع" على اسم ابنه، وهي المدينة الوحيدة التي نجت من "طوفان نوح"، كما يُعتقد أن "جبل سعيد" في المدينة هو الجبل الذي كان النبي إبراهيم سيذبح فيه ابنه إسماعيل. كما أن هناك بعض الآثار في المدينة التي يُقال إنها تعود لقصر النبي

سليمان ودير النبي إلياس، وفي المدينة أيضًا قبر النبي نوح، وقد ذُكرت المدينة في سفر يشوع بـ"بعلغاد" وفي سفر الملوك بـ"بعلات" المُدرجة ضمن مدن النبي سليمان. كما أن موقعها جعل منها ممرًا للقوافل التجارية القديمة فكانت تقع على مفترق طرق بين سورية وفلسطين والساحل المتوسطي.

وتأتي تسمية بعلبك من "بعل" و"بك"؛ وكان الفينيقيون يطلقون اسم "بعل" على إله الشمس كما أن "بك" تعني البيت. ويذكر الكاتب أنيس بن فريحة في كتابه "معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية" أن "بعل" يعني الرب، و"بك" تعود لسهل البقاع الذي يمتد على طول 120 كيلومترًا بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، وأن الاسم يعني إله وادي البقاع. عندما غزا الإغريق مدينة بعلبك في العام 332 ق.م أطلقوا عليها اسم "هليوبوليس" وتعني "مدينة الشمس" في إشارة إلى عبادة الإغريقين للشمس. كما أطلقوا على المدينة اسم "أهراءات روما" لوفرة محاصيلها الزراعية. وقد أمر يوليوس قيصر ببناء الثالث الروماني "معبد جوبيتير" وهو إله السماء أو أب السماء، و"معبد باخوس"، وباخوس هو إله الخمرة، وهذا المعبد أصغر حجمًا من معبد جوبيتير ولكن ما يميزه أنه لا يزال محافظًا على معالمه رغم الزلازل والحروب التي مرت على المدينة، و"معبد فينوس" إلهة الحب والجمال. واستمر التوسع في بناء الهياكل الرومانية من عام 64 قبل الميلاد حتى عام 305 ميلادي على أيدي أكثر من 25 ألف عامل كما يذكر المؤرخون، كما أنه تم استقدام مهندسين ونحاتين، ويُقال إن النحاتين كانوا يستوحون تماثيلهم من صور عشيقاتهم وينحتونها بالصخر على شكل آلهة أو أنصاف آلهة. كما تبيّن لعلماء الآثار أن معبد جوبيتير تم بناؤه على أنقاض معبد قديم. وتتميز هذه الهياكل بضخامتها وبنقوشها الرائعة. وكانت بعلبك في المرحلة الرومانية مستعمرة وكان سكانها يتمتعون بنفس حقوق السكان في روما وعليهم نفس الواجبات، وقد أهدى "يوليوس قيصر" المدينة لابنته "جوليا دومنا" وسُميت وقتها "هليوبولس جوليا دومنا كولني"، وقد صُكّت عملة تحت هذا الاسم.

ويعزو الكثير الفضل في الإعلام عن أهمية هياكل بعلبك في أوروبا إلى المعماري الأيرلندي روبرت وود (1717 - 1771)، وزميله جايملس داوكينز (1722 - 1757)، إثر زيارتهما إلى بعلبك بعدما زارا مدينة تدمر في سورية سنة 1751، وأصدرا كتابهما "أطلال بعلبك أو هليوبوليس في سوريا المجوفة" في لندن سنة 1757. وزوّد كتابيهما برسوم عن القلعة وأعمدتها التسعة، وكان ذلك قبل أن يضرب زلزال

عنيف بعلبك بقوة 9 ريختر في 19 تشرين الأول/ أكتوبر عام 1759 فتسقط ثلاثة أعمدة، وقد أرسل الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني عام 1904 بعد زيارته للمدينة وفدًا من علماء الآثار للقيام بعمليات الترميم، وكذلك أرسلت فرنسا في العام 1930 وفدًا لمتابعة الحفر وإجراء الدراسات عن هياكل بعلبك. وفي العام 1984 تم ضمّ هذه المنطقة الأثرية إلى قائمة التراث العالمي لليونسكو.

أي Baalbeck Reborn "في العام 2021 تم إطلاق تطبيق "بعلبك ريبورن "بعلبك تولد من جديد"، بالتعاون بين المديرية العامة للآثار اللبنانية والمعهد الألماني للآثار وشركة "فلاي أوفر زوون" الأميركية للتعرف على القلعة الأثرية قبل تغييرها عبر الزمن وذلك من خلال محاكاة بصرية ثلاثية الأبعاد صدمت المشاهدين. وكان هذا التطبيق ثمرة عمل استغرق عامين وشارك فيه مؤرخون وعلماء آثار ومهندسون، ويظهر التطبيق أن الأعمدة المتبقية من هياكل بعلبك ويعرفها حاليًا زوار القلعة ليست سوى جزء صغير من هياكل كبيرة بناها الرومان تقوم على أعمدة كثيرة تهدمت عبر العصور.

كتبوا عنها

لم تكن مدينة بعلبك وهياكلها الأثرية عنصرًا جاذبًا لعلماء الآثار والمهندسين المعماريين فقط، فقد كتب عنها الأدباء منذ امرؤ القيس والمتنبي حتى يومنا هذا، ونعرض هنا لعدد منها

للشاعر خليل مطران (1872- 1949) وهو من مدينة بعلبك قصيدة طويلة عن مدينته بعنوان "روائع الآثار" نختار منها هذه الأبيات

إِيهِ آثَارِ بَعْلَبَكْ سَلَامٌ / بَعْدَ طُولِ الذَّوَى وَبُعْدِ
الْمَزَارِ. / ذَكَرَ يَنِي طُفُولَتِي وَأَعْيَدِي / رَسْمَ عَهْدٍ عَنْ
أَعْيُنِي مُتَوَارِي... / حَيْذَا هِنْدُ ذَلِكَ الْعَهْدِ
لَكِنْ / كُلُّ شَيْءٍ إِلَى الرَّسْدَى وَالْبَوَارِ / هَدَّ عَزْمِي
الذَّوَى وَقَوَّضَ جِسْمِي / فَدَمَارُ يَمْشِي بِدَارِ
دَمَارِ / خَرِبُ حَارَتِ الْبَرِّيَّةِ فِيهَا / فَتْنَةُ السَّامِعِينَ
وَالذُّطَارِ / مُعْجِزَاتُ مَنَ الْبِنَاءِ كِبَارِ / لِأَنَاسِ
مِلْءِ الزَّمَانِ كِبَارِ... / مَعْبِدُ لِسُرَارِ قَامَ
وَلَكِنْ / صَنَعُهُ كَانَ أَعْظَمَ الْأَسْرَارِ / مَثَلُ الْقَوْمِ
كُلِّ شَيْءٍ عَجِيبٍ / فِيهِ تَمْثِيلُ حِكْمَةٍ وَاقْتِدَارِ /
صَنَعُوا مِنْ جَمَادِهِ ثَمَرًا يُجْنَدَى / وَلَكِنْ بِالْعَقْلِ
وَالْأَبْصَارِ / وَشُمُوسًا مُضِيَّةً وَشِعَاعًا / بَاهِرَاتِ

لَكَذِّهَاتٍ هَاهُنَا مِنْ حِجَارٍ / وَطَيُّورٍ ذَوَاهِبًا آيِدَاتٍ /
 خَالِدَاتٍ الْغَدُورِ / وَالْإِبْكَارِ / فِي جَنَانٍ مَعْلَقَاتٍ زَوَاهٍ /
 بِصُفُوفِ الذُّجُومِ / وَالْأَنْوَارِ / وَأَسُودًا يُخَشِي
 التَّحَفِزُ مِنْهَا / وَيُرْوَعُ السَّكُوتُ كَالْتَزَّارِ / عَابِسَاتِ
 الْوُجُوهِ غَيْرِ غِضَابٍ / بِبَادِيَاتِ الْأَنْيَابِ غَيْرِ ضَوَارِي... /
 تِلْكَ آيَاتُهُمْ وَمَا يَرْحَتُ فِي / كُلِّ آنٍ رَوَائِعِ
 الزُّوَّارِ / ضَمَّهَا كُلَّهَا هَاهُنَا بِدِيْعٍ نِطَامٍ / دَقِّ حَتَّى
 كَأَنَّهَا فِي انْتِثَارٍ / فِي مَقَامٍ لِلْحُسْنِ يُعْبِدُ
 بِعُودٍ / الْعَقْلَ فِيهِ وَالْعَقْلُ بِعُودِ الْبَارِي /
 مِنْتَهَى مَا يُجَادُ رَسْمًا وَأَبْهَى / مَا تَحْجُجُ
 الْقُلُوبُ فِي الْأَنْطَارِ / أَهْلَ فَيَنْقِيَا سَلَامُ
 عَلَيَّكُمْ / يَوْمَ تَفْغَى بِقَيْسَةِ الْأَدْهَارِ / لَكُمْ الْأَرْضُ
 خَالِدِينَ عَلَيْهِمَا / بِعَظِيمِ الْأَعْمَالِ وَالْآثَارِ / خَضَمَ الْبَحْرُ يَوْمَ
 كَانَ عَصِيًّا / لَمْ يُسْخَرْ لِقَوَّةٍ مِنْ بُخَارٍ / وَرَكِبْتُمْ مِنْهُ
 جَوَادًا حُرُونًا / قَلَقًا بِالْمُمرِّسِ الْمِغْوَارِ / إِنَّ تَمَادَى
 عَدُوًّا بِهِمْ كَبَحُّوهُ / وَأَقَالُوهُ إِنَّ كِبَالَ مِنْ عِثَارِ /
 وَإِذَا مَا طَغَى بِهِمْ أَوْ شَكُوا أَنْ / يَا خَذُوا لَأَعْبِينَ
 بِالْأَقْمَارِ / غَيْرُ صَعْبٍ تَخْلِيدُ ذِكْرَ عَلَيٍّ الْأَرَّ / ضِ
 لِمَنْ خَلَدُوهُ / فَوَقَّ الْبِحَارِ / شَيْدُوها لِّلشَّامِ
 دَارَ صَلَاةٍ / وَأَتَمَّ الرُّومَانُ حِلْيَ الدَّارِ / هُمْ
 دُعَاةُ الْفَلَاحِ فِي ذَلِكَ / الْعَصْرِ / وَأَهْلُ الْعُمَرَانِ فِي
 الْأَمْصَارِ / نَحَتُوا الرِّسَائِدَاتِ تَحْتِ صُخُورٍ /
 وَأَبَانُوا دَقَائِقَ الْأَفْكَارِ / وَأَجَادُوا الدَّمَى فَجَارَ
 عَلَيْهِمْ / أَنَّهَا الْأَمِيرَاتُ فِي الْأَقْدَارِ / سَجَدُوا
 لِلَّذِي هُمْ صَنَعُوهُ / سَجَدَاتِ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْبَارِ

:ويكتب الشاعر اللبناني وديع عقل (1882-1933) في قصيدته عن بعلي بك

يا بعلي بك أطوف فيك كأنني/ شبحٌ يطوف بمدفن الأجيالِ / وأطلُّ منك
 على الوجود فلا أرى/ في الشرق غير مفاخر الأطلال/ ذهب التليد ولا
 طريف بعده/ وعفا الجديدُ فكل شيءٍ بال/ لم يبقَ للأحفاد من
 أجدادهم/ إلا رسوم معاقل ومعالي/ هممٌ طوينَ وما ولدنَ نظائرًا/
 وأماثلُ درجوا بلا أمثالٍ/ وحقيقة مرت وما تركت لنا/ إلا مجال
 توهّمٍ وخیالٍ/ إن أولى في بعلي بك تراحموا/ لعبادة الأوثان
 والأبعال/ بلغوا من الدين المسفه فوق ما/ بلغ الأولى عبدوا الاله
 .العالي/ فلو أن دين الشرق دين واحد/ لوقفت لا أرثي الزمان الخالي

ولجبران خليل جبران (1883- 1931) قصيدة "كم وقفة في بعلي بك

:وقفتها" يقول فيها

كم وقفة في بعلبك وقفتها/ أرمي الجهات بناظر رواد/ بينا أعيد
الطرف عنها راويا/ عجبًا وإعجابًا إذا هو صاد/ أرنو ومربأتي
بقايا هيكل/ من أعجب الآثار والأبلاد/ الروضة الخضراء تحت مظلة/ من
ناصع النوار في الأعواد/ والسهل يبسط للنواظر بعدها/ طرفًا
روائعها بلا تعداد/ لطف التناسق بينها حتى انتفى/ ما بينها من
شاسع الأبعاد.

: (ويقول الشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي (1897-1977)

جئت أطلال بعلبك أناجي/ ذكريات لها بقلبي انتفاض/ زرتها
والشباب غصٌٌ وبقا/ مني اليوم مثلها أنقاض/ لست أفنى وليس
تفنى كلانا/ جوهر لا تزيله الأعراض/ يشتهي الشعر وصفها والخيال
الـ/ نسر قصّت جناحه الأمراض.

أما إيتيل عدنان (1925-2021) فكانت لها مطوّلة شعرية بعنوان
:"بعلبك" نختار مقتطفات منها

من "أورفيوس" إلى "ماياكوفسكي"/ دارت الشمسُ حول رأسي/ تنوّهج
كتلةَ من ذَهَبٍ ونُور/ هي الألوهة الأولى/ التي انتصبت°/ من
أجلها/ معابدٌ من حجر/ تزورني/ وهي الأخيرة بالتأكيد/ بين الأنصاب
والأعمدة الأعلى منها/ أدركتُ، طفلةَ/ أن مملكتي ستكون/ من هذه
الحجارة/ ومن ليلها.

أمسكني الجفافُ/ من حلقي/ لن أغني/ المعبدُ موجود، حقًا موجود/
ومدرجاته صلدة/ والآلهة/ كي لا يبارحنه، رقصوا/ ثم قرروا ان
يموتوا/ خلّفوا وراءهم شمسًا/ أحببناها/ مع أنها همجية

الجدول الجاري/ تحت المعبد/ هو سِلْكُ "آريان"/ الذي يقودني إلى
.."المينوتور"/ قبل أن يغور في مزارع القطن

هنا الهواء جاف/ والأحياء يهربون/ مثل خيول جامحة/ تعدو في
البعيد/ بين سلسلة لبنان الغربية/ وسلسلة لبنان الشرقية

يتمتّع العالم بذكاءٍ تام/ ونحن لنا/ كل الأعمدة المنتصبة/ أينما
كانت/ لأننا الوحيدون الذين نعتني بها

عند منقلب الجبل/ يمتد البحر الأبيض المتوسط/ ينفخ في مراكب/
تخرق جسدَه/ مع أنه بقي على قيد الحياة/ بعد قرطاجة وأفلاطون/

والمتنبي/ مثلنا/ هل إن هؤلاء متفردون/ أم متحاورون؟/ من أين لنا أن نعرف؟

ما شأن الذاكرة/ بين هذه الحجارة/ التي تتكرر أبدًا/ وهي الأعنق من الخليقة/ وتصرّ على قول ذلك/ "أورفيوس" يتنّزه في ساحة القرية/ لهذا، الريح في براءتها/ تُبعثر الشّمس التي تغيب/ وتلتحق بلهائنا/ لتقودنا إلى هذه الأمكنة، حيث "التاريخ" و"العدم" . يمزجان مياههما العظيمة .

كان الأسد/ أول حيوان أحبته/ منحوتًا على جدار من حجرٍ/ وبَرَد/ أما الثاني/ فقد كشف لي/ عُمق البَشَرة المذهل/ والعطر الذي تختزنه/ كان الحجر/ في الشرق/ أما الحُب/ ففي مكان آخر .

إحذروا الماضي/ إنه سُمٌّ/ حقولنا الجافة/ إحذروا أعمدته/ إنها أشجار بلا/ ربيع ولا شتاء/ يتآكلها هي أيضًا/ القلقُ في مواجهة القَدَر .

عادت الحجارة إلى حواراتها/ لكي نعرف بأن المادة/ تتجاوز مداركنا/ الأشياء هي أطفال طلالها .

في بعلبك/ معبدٌ لمجد "باخوس" و"بوليناس"/ هو "قصر الليل"/ الذي تحرسه "جوان كيغر" بأشعارها/ فقد شاهدتهما بعيون طفولتي التي كانت/ تجذب صغار ماسحي الأحذية/ في أزقة بيروت/ فيما البحر يتفجّر بالذُّور والقيظ .

من تحت أقدامنا/ ترتفع ذكرى خفيفة/ لا تلبث أن تتبخّر/ ضاجةً أو هامسةً/ لأن بلادنا لن تلبث/ أن تتبدّد في دخان .

أود أن ألقاني وسط بدايات تلك الآثار/ في نوع من جنون سائل/ . يتحوّل إلى سماء/ فوق رأسي/ في وتيرة متسارعة/ لا اسم لها .

نعم، أنا في جوع إلى تلك الحجارة التي أركض بينها/ في زمنٍ سابق على ما قبل التاريخ/ الرغبات والأفكار المودعة في الذاكرة/ تنطفئ/ واحدة بعد أخرى/ سوف أسافر طوال ذلك الليل/ دون حراك .

صعدتُ مدرّجات الغرانيت الوردي/ ومن ذلك الارتفاع/ شاهدتُ ولادة آسيا/ أعظم القارات/ حيث اجتمع التاريخ واللازم/ ثم توقّف كل شيء/ لم يبقَ غير السماء/ قاسية، نائية، خالدة/ فجأةً/ بدا أن كل شيء صار أليفًا/ يسهم في نظام واحد:/ لا شيء أقرب إلى المقدّس من العدم .

لن أعود لاسمع غناء "إلّا فيتزجيرالد" / ينداح فوق الأعمدة / ولا هي
سوف تعود .

.لآثار ذخائر ونحن أنسباؤها / بغض النظر عن السلالة

طلال حيدر أقرب إلى الحقيقة مني / ما دام ينتمي إلى هذا المكان /
كان يلتقط القمر بين الحجارة / ويحمله إلى سريريه وهو ينحني، في
هذه الأيام / ليلتقط زهرة / فيعثر على خيط دم

وكتب الأخوان رحباني لبعلبك قصيدة "بعلبك أنا شمعة على دراجك"،
:وغنتها فيروز

بعلبك / أنا شمعة على دراجك / وردة على سياجك / أنا نقطة زيت
بسراجك / بعلبك / يا قصّة عزّ عليانة / بالبال حليانة / يا معمّرة
بقلوب وغناني / هون نحنا هون / لوين بدنا نروح / يا قلب يا مشبك /
بحجارة بعلبك / عالدهر / ع سنين العمر / هون نحنا هون / وضو القمر
مشلوح / ع أهلنا الحلوين / ع بيوت غرقانين / بالعطر / بغمار الزهر /
هون رح نبقي نسعد ونشقى / نزرع السجرة ، وحدّا الغدّية / وللدني
نحكي حكاية إلهية / وبعلبك بهالدهر مضوية / وع اسمها السهرات
مسمية .

كما كتب الأخوان رحباني قصيدة "يا قلبي لا تتعب قلبك" وغنتها
:فيروز، ومنها

يا قلبي لا تتعب قلبك / بحبك على طول بحبك / بتروح كثير وبتغيب
كثير / وبترجع ع دراج بعلبك / يا قلبي لا تتعب قلبك / ماشي والقمر
ماشي .. تبّعّت مَرّاسيل / يا قلبي الـ مثل فراشة .. حوّل
القناديل / لا بتعرف وهّج النار .. ولا بتكفّي المشوار ، وملبّك
... بالحبّ ملبّك / وتروح وترجع ع بعّلابك

وللشاعر عبد الغني طليس (مواليد 1955)، وهو من بلدة بريثال (من
قرى قضاء بعلبك)، قصيدة "كأني سوف أرثي بعلبك" نختر مقتطفًا
منها :

الصُّبْحُ في عرشه الأنقى يؤاخيها / والليل مجنون موسيقى
يُنَاجِيها / تلك الجميلة تُدْعِي بعْلَبَكْ وَلِي / نبع من الحبّ
قد أجرّيته فيها / يا بعّلابك هنا أهلي أسلمهم / روعي،
وأطلقها والربّ راعيها / وكلّما جئت رأس العين يخدقني /
الحنين، يُبْعَثُ حيّا إذ أحييها / أنا تَدَشَّقْتُ عطرًا من

بنفسـجـها / أنا حفـطـتـ صلاتي في فـيا فـيـها / وعندـ قلعتـها
 سلـمـتـ أسـلـحتـي / لكي تـزودـني تـجـازئـها / تـريـها / أجـيئـها
 اليوم .. لا أدري لـمـ انـفـتـحتـ / بيـ الجـروحـ .. كـأنـي سـوف
 أرـثـيـها / مـنـ بعـلـبـكـ ، أنا الطـيرـ ارتـفـعـتـ غـوى / وما
 قـبـلـتـ لـصـوتـ الرـيحـ تـنـبـيـها / يا خـبـزـ تـذـورـ سـتـي ما
 أكـلـتـ أنا / مـنـ بعـدـكـ الخـبـزـ إلـا كانـ تـمـويـها / يا
 بعـلـبـكـ وقد كـنا عـلى طـرـبـ / نـغـوي حـبـيـاتـنا بـالبـدرـ تـشـبـيـها /
 وما تـذكـرتـ حـبـا فـيـكـ مـرـمـرـني / إلـا طـلـبـتـ لـنـفـسي مـن
 يـدـاوـيـها / و"خـولة" في "مـقام" فـقـرـهـ مـلـكـ / تـعـطـيـكـ مـن
 قـبـل أن تـبـدـا تـرجـيـها / وذاكـ خـطـ قطـارـ ضـاعـ سـائـقـهـ / في
 السـهـلـ بـين حـكـايا ، ضـاعـ حـاكـيـها / أينـ البـساتـينـ ، هل ما زال
 يـغمـرـها / ثـلـجـ يـسـطـرـ أشـعارـا ويـلـقـيـها / وليـلـة العـيـدـ ، لا
 نـومـ ، وأسـألـكـمـ / هل كانـ أطـولـ يـومـ العـيـدـ تـرفـيـها ؟ /
 وجـمـعة الأهلـ والـولـدانـ أينـ خـبـتـ / والدارـ مـنـ حـسـدـ
 ضـاقت نـواحيـها / وكـيفـ حالـ الرـفاقـ الحـاملـينـ معـي / كـأسـ
 الطـفـولة في أبـهى معانيـها / لـلـسـيفـ أنت ولـلـضـيفـ الكـريمـ ولـلـ
 رـجالـ خـاضوا مـن الدـنيا دـواهيـها / إذا السـياسـة لا عـقلـ
 يـحـاسـبـيـها / إذن سـيـطـلـبـ أهلـ الكهـفـ تـنـويـها ! / ما هـكـذا الأرضـ
 كانت ، بعـلـبـكـ أنا / عـرـفـتـها إذ تـنادي الحـقـ بـأتـيـها /
 كانت بـروعة ما كـذا نـدلـلـها / بالشـوقـ نـطـعـمـها ، بالصـبرـ
 نـسـقيـها / لكنـها الآنـ لا نـهرـ يـسـامـرـها / ولا رفـيقـ عـلى البـلاوى
 يـؤاـسيـها / يا بعـلـبـكـ أعـيـدـنا إلـى لـغة / فـيـها نـعـيدـ
 الأمانـي مـنـ مـنافيـها / وعـلـمـنا بـأنـ اللهـ لـيس لـنا / لـوـحـدـنا ،
 وبـنا الأكـوانـ يـنـدـهيـها / كـنتـ العـروبةـ لـمـا لمـ يـكنـ عـربـ / وتلكـ
 راياتـ عـزـ لـيس نـخـفيـها / وكـنتـ أنشودةـ الإـسلامـ ما رُفـعـتـ /
 فـيـكـ المـصـاحـفـ تـدـلـيسـا وتـسـفـيـها / وكـنتـ صـوتـ فـلسـطينـ
 ...! وفتـيـتـها / وغـيرـنا عاشـ حـاميـها حـرامـيـها

امرؤ القيس والمتنبي

ويذكر امرؤ القيس بعلمك في قصيدته "لك شوق بعدما كان أقصر" يقول فيها :

لقد أنكرتني بعلمك وأهلها / وجوَّاء فرَّوى نخل قيس بن شمَّرا

أما المتنبي فقد أقام في عدة أماكن لبنانية ومنها قرية نحلة من قرى قضاء بعلمك حيث كان في ضيافة صديقه أبي علي هارون بن عبد العزيز الأوراجي (الكاتب الذي كان يذهب إلى التصوف)، والذي مدحه

:المتنبي في قصيدة أخرى في ديوانه. يقول المتنبي

ما مقامي بأرض نحلة إلا/ كمقام المسيح بين اليهود/ مفرشي سهوة
الحصان ولكنّ/ قميصي مسرودة من حديدٍ/ وفي هذه القصيدة أبيات في
الفخر مشهورة، هي/ لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي/ وبنفسي فخرتُ لا
بجدودي/ وبهم فخرتُ كل من نطق الصادّ/ وعودتُ الجاني وعودتُ
الطريدِ/ إن أكن معجباً فعجبٌ عجيبٌ/ لم يجد فوق نفسه من مزيد/
أنا تربُّ الندى وربُّ القوافي/ وسامٌ العدى وغيظُ الحسود/ أنا
.في أمة تداركها الله/ غريبٌ كصالح في ثمود

:وفي قصيدته الأخرى يقول المتنبي

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت/ وإذا نطقتُ فإنني الجوزاءُ/ وإذا
خليتُ على الغبيّ فعاذرٌ/ أن لا تراني مقلّة عمياءُ/ بيني وبين أبي
عليّ مثلهُ/ شمُّ الجبالِ ومثلهنّ رجاءُ/ وعقاب لبنان وكيف
بقطعها/ وهو الشتاءُ وصيفهنّ شتاءُ/ لبس الثلوج بها عليّ مسالكي/
فكأنها ببياضها سوداءُ/ وكذا الكريم إذا أقام ببلدةٍ/ سال
النضارُ بها وقام الماءُ

لوحات تشكيلية

أما تشكيلياً فقد كان لبعليك نصيب من الحب من فنانين بارزين في
العالم، نختار هنا ستة أعمال فنية لفنانين من العالم صوّروا
:القلعة في أوقات مختلفة وهم

□ (1756-1827) هو Louis-François Cassas لويس فرانسوا كاساس
رسام مناظر طبيعية ومعماري وأثري وجامع تحف فرنسي. تجول في الشرق
ورسم العديد من الآثار والمناظر في كل من سورية وفلسطين ولبنان
ومصر. عام 1785، زار كاساس مصر، حيث رسم آثار الإسكندرية
والأهرامات ومساجد القاهرة، كما زار تدمر ورسم آثارها، وزار
فلسطين ورسم بعض آثارها ورسم هياكل مدينة بعليك. وعند اندلاع
الثورة الفرنسية، عاد كاساس إلى فرنسا سنة 1792. وفي سنة 1799،
نشر أعماله في كتاب "رحلة تصويرية في سورية وفينيقيا وفلسطين
ومصر السفلى" وقد أودعت أصول لوحاته الزيتية التي أنجزها في هذه
الرحلات بالمكتبة الملكية الفرنسية. لوحته عن بعليك بعنوان
"بعليك: معبد جوبيتير" ويتخيل فيها هياكل بعليك قبل تعرّضها
للدمار بسبب الحروب ومرور الزمن.

وعمله بعنوان "مدخل David Roberts (1796-1864) ديفيد روبرتس

قلعة بعلبك الذهبية"، وديفيد روبرتس هو رسام سكتلندي. اشتهر بمجموعة لوحاته التوثيقية عن مصر وعدد من بلدان الشرق الأوسط، أنتجها خلال فترة أربعينيات القرن التاسع عشر في رحلاته الاستكشافية عن المنطقة جاعلة منه من أهم المستشرقين البارزين.

رسام روسي يهتم برسم Vasily Polenov (1844-1927) فاسيلي بولينوف المناظر الطبيعية. أطلق عليه معاصروه لقب "فارس الجمال" لأنه جسّد التقاليد الأوروبية والروسية للرسم. تم تلخيص رؤيته للحياة على النحو التالي: "يجب أن يعزز الفن السعادة والفرح". كان يؤمن بالمهمة الحضارية للفن والثقافة والتعليم. عام 1881 قام برحلة إلى الشرق الأوسط فكانت له عدد من اللوحات عن الأماكن الأثرية في الشرق الأوسط، ورسم عن بعلبك عددًا من اللوحات منها لوحة "معبد جوبيتير- معبد الشمس" ينقل فيها رسمًا حيًا للقلعة وللمكان الذي يحيط بها، ولوحة "بعلبك" يرسم فيها مدخل القلعة.

Ernest Karl Eugen إرنست كارل يوجين كورنر وهو فنان تشكيلي ألماني عُرف برسمه للمناظر (1846-1927) Koerner الطبيعية. أمضى معظم أيام حياته في السفر إلى بحر الشمال ودول البلطيق وجبال هارز وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا واسكتلندا وإسبانيا. من عام 1873 إلى 1886، قام برحلات عديدة إلى مصر والشرق الأوسط، حيث رسم بعضًا من أشهر لوحاته ومنها لوحاته عن العمارة المصرية ولوحته الشهيرة عن بعلبك بعنوان "الساعة الذهبية بين المناظر الطبيعية" حيث رسم قلعة بعلبك قبيل غروب الشمس.

كان رسامًا ألمانيًا اهتم George Macco (1863-1933) جورج ماكو برسم المناظر الطبيعية، واشتهر في المقام الأول بأعماله الاستشراقية، فقد سافر في جميع أنحاء منطقة البحر الأبيض المتوسط، اسطنبول وبعلبك والقدس والقاهرة ومكة. أصبحت الأعمال التي أنتجها نتيجة لهذه الأسفار أكثر أعماله شعبية. عمله "بعلبك-لبنان" يصوّر فيه القلعة وخلفها يبدو جانب من سلسلة جبال لبنان الغربية المكسوة بالثلوج.

مواليد 1957) فنان بريطاني Alexander Creswell ألكسندر كريسويل مشهور بمهاراته الفنية في الرسم بالألوان المائية. يجمع أسلوبه المميز في الألوان المائية بين التلوين الخفيف والبراعة الماهرة في الرسم جنبًا إلى جنب مع عمق الضوء الطبيعي. رسخ كريسويل مكانته في الرسم المعماري وهو معروف عالميًا بقدرته الاستثنائية على التقاط روح المكان. يعد السفر عنصرًا أساسيًا في عمل

كريسويل، فهو يرسم باستمرار في رحلاته العديدة ويعيد المواد إلى الاستوديو الخاص به في المملكة المتحدة. رسم على نطاق واسع في جميع أنحاء أوروبا والولايات المتحدة وروسيا ومصر والشرق الأقصى والشرق الأوسط. قام مؤخرًا بإنشاء مجموعة من اللوحات من طريق الحرير في أوزبكستان، ويعمل حاليًا على سلسلة أعمال عن القدس والأراضي المقدسة. عمله "قلعة بعلبك" يرسم فيه معبد باخوس بدقة لامتناهية وكأننا أمام صورة حية للمكان.

دارين حوماني

المصدر: موقع ضفة ثالثة